هناك بون كبير بين سياسة المتديّنين ودين السياسيين، وهذه الحقيقة ينبغي أن ننظر إليها من جوانبها الموضوعية؛ لأن التجربة أثبتت أنّ السياسي في الغالب يتقلّب بحسب حاجة عصره ومستلزمات وصوله، ولا يستند إلى ثابت ينطلق منه لتحديد مساره ووجهته التي تكون في الغالب متعثّرة بسبب التقلّبات الكثيرة الناشئة في الأصل بفضل التراكمات الحاصلة من قناة اللاوعي الذي يدين به أكثر السياسيين ولاسيما من كان وجوده في عالم السياسة بمحض الصدفة وقد اضطر إلى التأقلم مع مجتمعه الجديد ذي القوانين الخاصة التي تفيد بأن الغاية تبرّر الوسيلة.

وأما سياسة المتديّن فهي ناشئة من ثقافة الإسلام الواقعي والصحيح، فالإسلام منظومة متكاملة تناسب كل زمان ومكان، فقد ختم الله به الأديان، ووسّع منهاجه بحسب حاجة الإنسان وتطوّره، ونظّم كل ما يتعلّق بالحركات والسكنات بقوانين ثابتة تستند إلى القرآن والروايات الشريفة وأقوال المعصومين الذين جعلهم الله تعالى أمان أهل الأرض فلولا الحجة لساخت الأرض بأهلها وهذه القوانين الإسلامية تتكيّف مع كل مستجدّ ولا تخالف المبادئ الثابتة؛ بل تجعلها وسطًا للانطلاق وسبيلًا للتجاوب مع كل حادث ولا تتقاطع مع التطوّر الذي قد يصله الإنسان مهما طاش سهم العلم وتوسّعت مداركه، فالإسلام دينٌ حيٌّ ويحيى مع كل جديد.

ومن خلال التجربة الماضية تبين أن المشكلة ليست في كونك متديّنًا؛ باعتبار الدين حالة عامة وكلّ يدين سواءً بالإسلام أم بغيره، ولكن المشكلة في كونك تحمل ثقافة التديّن الإسلامي الصحيح والموجّه والذي يتقاطع مع إرادات كل الطواغيت والجبابرة ورغباتهم وعلى مرِّ العصور المتوالية .

فقد كان الحكّام فيما سبق لا ينظرون إلى دينك؛ بل لا ينظرون حتى إلى مذهبك ولكن يهمّهم أن يعرفوا ولاءك لمن؟ وانتماءك إلى من؟ وهكذا صرّح معاوية للمسلمين حينما وقف فيهم مخاطبا بقوله: إني لا أحاسبكم على الصلاة ولا على الزكاة...ولكن أحاسبكم على طاعتي وولايتي، فلم يكن همّ الرجل طاعة الله؛ لذلك غيّر أكثر الثوابت الإسلامية حتى عمد إلى إقامة صلاة الجمعة يوم الأربعاء؛ ليختبر طاعة القوم وولائهم.

نعم، اليوم أيضًا وغدًا كذلك لا يُسأل الناس عن دينهم ولا عن مذهبهم ولا يحاسبون طالما لا تمثّل تهديدًا لهم، ولكن لو كنت تدين بضرورة العمل على وفق القوانين الإسلامية الصحيحة والمنقولة عن النبيِّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعن الإمام المعصوم والقاضي بضرورة اتّباع المرجعيّة فأنت تمثّل خطورة على السياسي؛ لأن فكرة المرجعية مرتبطة بعقيدة الانتظار ومن قبلُ بعقيدة الإمامة، والإمامة بمعنى السياسة، وبذلك فإنّ السياسة تكون جزءًا لا تتجزأ من الإسلام ولا تنفك عنه، وهذا هو الخطر الحقيقي على السياسيين الذين يعملون على خلاف القاعدة الإسلامية.

إذن من المهم أن نعي حجم الخطورة والمسؤولية، ونعرف أن دين السياسيين هو الابتعاد عن الواقع المرجعي بغض النظر عن خلفيّاتهم الدينيّة؛ فهم يتصوّرون أن وجود المرجع في حياة الناس بمعنى ابتعاد الناس عنهم فعمدوا إلى إضعاف دور المرجعيّة وإبعادها عن حياة الناس، بحجّة أننا لا نحتاج إليها، فنحن مسلمون ونحن شيعة أهل البيت فلماذا المرجعيّة؟ وهنا يكمن الخطر وتهديده، وعلى المتديّنين السياسيين أن يُدركوا حجم التهديد الكبير الذي يستهدف عزل الناس عن المرجعيّة في سياسة السياسيين ونهجهم المفضوح، وعلى الواعين أن يعملوا على ترسيخ ثقافة الانتظار وعلاقة الأمة بقائدها المنتظر الذي يجمع السياسة والدين لقيادة الأمة الإسلامية والعالمية بتأييد الله تعالى حتى يملأها قسطًا وعدلًا بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا.